http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (1676) السنة السابعة - الثلاثاء (15) كانون الاول 2009

المشاركون في مهرجان الحبوبي الرابع

السخاء السياسي لعبة انتخابية لن تنطلي على المثقف

الناصرية / حسين العامل

لم تعد لعبة السياسي خافية على المثقف .. لكنه قد ينساق للقبول بقواعدها ليبعث الروح بجسد الثقافة . فالقبول بتمويل الفعاليات الثقافية المؤجلة من المال السياسي قد ينعش بعض المفاصل الثقافية وان كان ذلك يدخل ضمن الأغراض الانتخابية .

يقول الشاعر طالب عبد العزيز الذي شارك في مهرجان الحبوبي الإبداعي الذي اختتم أعماله مؤخرا في مدينة الناصرية :

قد لا تضيف المهرجانات الثقافية التي تنعقد في بغداد او المحافظات الاخرى شيئا لحقيقة وجوهر الثقافة ، وقد لا تخرج من كونها ممارسة اعلامية ، او سياسية ... الخ لكن أي فعل ثقافي ، مهما بلغت درجة نجاحه فهو يصب بشكل او آخر لصالح الثقافة بكل تاكيد. مهرجان الحبوبي هذا فعالية أدت غرضها ، وساهمت من قريب بتحريك الحياة لصالح طموح الإنسان بالعيش بعيدا عن لغة الشد السياسي بعيدا عن لغة المصالح ، ونحن نعتقد جازمين بان كلمة في الشعر ، في القصة ، في الرواية هي كلمة ضد الرصاص ، وتشق طريقها سريعة نحو النبل والشعور الإنساني الخلاق .

وكانت مدينة الناصرية التي لم تحض بتمويل اية فعالية ثقافية كبيرة طيلة احدى عشر شهرا خلت من العام الحالي قد شهدت مؤخرا وخلال الأيام العشرة الأول من الشهر الجاري انطلاق ثلاث فعاليات ثقافية كبيرة هي (مهرجان مصطفى جمال الدين والملتقى التشكيلي ومهرجان الحبوبي) وهو ما عدته بعض الاوساط الثقافية انسياقا وراء رغبات الجهات السياسية والحكومية التي عمدت على ان يكون اطلاق تمويل بعض النشاطات الثقافية متزامنا مع اقتراب موعد الحملات الانتخابية . ورغم ان مثل هذه الافكار لا يجانبها الصواب الا ان العديد من الادباء والمثقفين لا ينظرون للفعاليات الثقافية عبر نافذة الجهات الممولة وانما بمدى تفعيلها للحركة الثقافية وتحفيزها للنشاط الابداعي.

فالدكتور لؤي حمزة عباس يرى باقامة المهرجانات الثقافية افاقا للاحتفال بمبدعي العراق اذ يقول: من المهم ان تعيش الثقافة العراقية أفراحها ، ومهرجانات مودتها وهي تبتكر في كل مرة طريقا جديدا لتقديم إضاءات مبدعيها، وها هو (الحبوبي) في خطوته الرابعة يهيئ مجالا واسعا للثقافة ، ويقترح آفاقا للاحتفاء بمبدعي العراق الراحلين في حضورهم المتجدد لتوفر الفرصة للتواصل ومواكبة الخطى ، فليس ثمة انقطاع في مسيرة الثقافة العراقية على الرغم من صعوبة الحدث الراهن الا ان الثقافة تفتح المجال لمياهها للتدفق باتجاه الحياة .

اما الكاتب حميد المختار فيرى باقامة المهرجانات الثقافية في المحافظات تأسيسا جديدا لمتن ابداعي اخذ يتشكل ليسحب الاضواء من المركز واوضح المختار رايه قائلا: مهرجان الحبوبي يمثل حلقة جديدة للثقافة العراقية التي اقامتها نخبة طيبة من مثقفي وادباء الناصرية مدينة الحضارات والثقافات القديمة ، واضاف وهذا المهرجان يؤكد ان ادباء الهامش سيشكلون متنا ابداعيا جديدا يسحب الاضواء من المركز اليه ، ليقول ان الثقافة العراقية قادرة على تمثيل نفسها وهي قادرة على ان تنقل صورة واضحة المعالم الى العالم اجمع . ولا سيما وان هذا المهرجان جاء في وقت عصيب ينتاب المشهد العراقي نتيجة ارتباكات المشهد الامني ، لافتا الى ان جواب هذا المهرجان سيكون للعالم اجمع ان العراقيين بثقافتهم العريقة قادرون على الثبات والانتقال ببلدهم الى ساحل الأمان وهم مصرون على صنع الحياة وصنع إبداع للحياة .

اعات مبدعيها، وها هو (الحبوبي) في خطوته الرابعة يهيئ مجالا واسعا للثقافة ، ويقترح آفاقا للاحتفاء بمبدعي العراق الراحلين في حضورهم المتجدد لتوفر الفرصة للتواصل ومواكبة الخطى ، فليس ثمة انقطاع في مسيرة الثقافة العراقية على الرغم من صعوبة الحدث الراهن الا ان الثقافة تفتح المجال لمياهها للتدفق باتجاه الحياة .

اما الكاتب حميد المختار فيرى بإقامة المهرجانات الثقافية في المحافظات تأسيسا جديدا لمتن إبداعي اخذ يتشكل ليسحب الاضواء من المركز وأوضح المختار رايه قائلا :

مهرجان الحبوبي يمثل حلقة جديدة للثقافة العراقية التي إقامتها نخبة طيبة من مثقفي وأدباء الناصرية مدينة الحضارات والثقافات القديمة ، وأضاف وهذا المهرجان يؤكد ان أدباء الهامش سيشكلون متنا ابداعيا جديدا يسحب الأضواء من المركز اليه ، ليقول ان الثقافة العراقية قادرة على تمثيل نفسها وهي قادرة على ان تنقل صورة واضحة المعالم الى العالم اجمع . ولا سيما وان هذا المهرجان جاء في وقت عصيب ينتاب المشهد العراقي نتيجة ارتباكات المشهد الأمني، لافتا الى ان جواب هذا المهرجان سيكون للعالم ان العراقيين بثقافتهم العريقة قادرون على الثبات والانتقال ببلدهم الى ساحل الأمان وهم مصرون على صنع الحياة وصنع إبداع للحياة .

أحزان "خورية" بالأبيض والأسود

هشام بن الشاوي

اعتدت في أواخر تسعينيات القرن الماضي التردد على إحدى المكتبات، حيث يمكن أن يجد المرء- هناك- ضالته من طبعات مفقودة لبعض الإصدارات، حتى لا نقول كتبا مستعملة، لأن الكتب ليست سقط متاع، وقيمتها تتجلى في محتواها وليس بنضارة أوراقها، وكم من "مطبوع" تجده صقيل الورق لكن مكانه الحقيقي "المزبلة"، مثل تلك "الكتب" التي تخصص في بيعها ذلك الكتبي، إلى جوار كتب الدجل والأبراج والطبخ، بعد أن اكتشف أن بضاعة الأدب كاسدة...

لا أذكر بالذات السنة التي قرأت فيها بعض المجاميع القصصية والروايات لكتاب مغاربة، كنت مشدودا إليهم وإلى كتاباتهم، باعتبارهم من أقطاب الواقعية بالمغرب، ممن كتبوا -وبصدق- عن نبض الواقع المغربي، وكنت أتفادى مسرودات بعض "الكتاب" المغاربة.. بسبب انتماءاتهم السياسية، لأنهم- حسب تصوري المتواضع- لن يستطيعوا التعبير بصدق عمّن يعيشون على حافة الحياة، وهم لا يبرحون مكاتبهم المكيفة....

ترى هل الجميع تأسرهم كتابات اليساريين مثلي؟!

هكذا وجدتني أبحث عن كتابات إدريس الخوري ومحمد زفزاف ومحمد شكري، ومن بين الكتب اللاتنسى اطلعت عليها مجموعة "حزن في الرأس وفي القلب" لبادريس، والتي وجدتني ومؤخرا، أسارع إلى ابتياع نسخة منها، وأنا أتأمل واجهة المكتبة، وقد لفتت انتباهي بحلتها الأنيقة، كما هي جل إصدارات دار توبقال. المدهش في هذه النصوص أن القارئ المعاصر سيفاجأ بأنها تؤرخ لأحزان بالأبيض والأسود، لأحزان "ستينية"، وشباب "بادريس" وزفزاف وشكري هو نفس شبابنا... لا شيء تغير، نفس المعاناة، نفس الثيمات تقريبا نجدها في كتابات مجايلينا... نفس الهموم، وكأننا نعيش فصول تمثيلية عبثية لا جدوائية، لامنتهية، فلا أحد يجيء ولا شيء يحدث...

في قصة "الذباب في الشاطئ" يصير الآخرون ذبابا (وليس جحيما) في عيني بطلة القصة، وفي قصة "المدينة الرمادية" يموت الحب مثل كل الأشياء الجميلة، ويعيش البطل وحيدا، وكل شيء من حوله يتغير... إلا هو الضائع في زحام المدينة الرمادية، ويصاب بخيبة أمل حين يرى شبيهة حبيبته سعاد، ويبدو مضحكا، وهو يطلب منها أن تتخذه صديقا، ويتخلى عن مواصلة مطاردتها معزيًا نفسه، وقد أنهكه التعب بأنه بلا حظ. وفي "العطش" يكتب إدريس الخوري عن معاناة ربيعة مع العنوسة، وأنوثتها الذابلة، وأيامها المتشابهة الفاترة، ويعذبها الأرق، وهي تسمع ضحكات أبيها -الذي رفض تزويجها حتى تهتم بأبنائه- مع زوجته الشابة في الغرفة المجاورة. وفي قصة "الغرفة" و التي تميل إلى النصوص الفلسفية، نصادف ضيق المكان /الغرفة ورحابة التأمل/ الفكرة، ففي كل يوم تستيقظ بطل النص، ويكرر نفس التفاصيل الرتيبة بعد استيقاظه، ولا يأتي النهار الجديد بأي بارقة أمل تكسر رتابة الحياة وخواءها.

أما القصة التي تحمل المجموعة اسمها، فهي مرتفعة النبرة نوعا ما مقارنة ببقية النصوص، وهي تعبر عن طموح جيل عايش الأحلام الكبرى والانكسارات الكبرى أيضا. في هذه القصة يكتب إدريس الخوري عن شباب يملكون "كمية كبيرة من اليأس ومن التفاؤل، ومن التفاهة، ومن الإدانة لجميع البشر بما فيهم الآباء والماضي معا". القصة تشي بالقلق الوجودي لدى السارد، والبحث المحموم عن الكينونة في مدينة تغتال أبسط الأحلام، و هي"أن يكتب فقط وينام فقط ويستريح فقط"، مما جعل عبارة "أنا إنسان ولست آلة" تتسرب إلى الجريدة.

إنه الحنين إلى "الكتابة أكثر من أي شيء آخر".

في قصة "في نقطة ما من العالم يحدث شيء ما" يثير الطفل استهجان رواد المقهى الباذخ، وينظرون إليه بنوع من الدونية، ويلح في طلب "ريال" من الراوي، وأمام رفضه يعرض عليه الطفل أن يصحبه إلى البيت، والذي يبدو أنه اعتاد أن يصطاد لأمه طلاب المتعة، ممارسا هذا الفعل المشين دون أن يدري أي شيء، وكل ما يعرفه أن أمه تفعل ذلك حتى لا تموت من الجوع.

في قصص "حزن في الرأس وفي القلب" انتصر إدريس الخوري لأبطاله المسحوقين والمهمشين، أولئك الذين لا صوت لهم، مصورا معاناتهم وانكساراتهم واغتيال أبسط أحلامهم المشروعة.. أحلام قد لا تتجاوز دفء القلب، ودفء البيت (أليس الوطن مجموعة بيوت؟)، وبعضهم مثقفين محبطين مهزومين، عاجزين عن الفعل، ولا يجدون غير الكأس والمرأة بديلا لتلك الطموحات/الحلم بوطن جميل، وحياة كريمة... في جل القصص يخيم على القصص طقس كآبة رمادية... كل شيء رمادي كالحزن، ولا بارقة أمل تلوح في الأفق...

ما أشبه اليوم بالبارحة!.

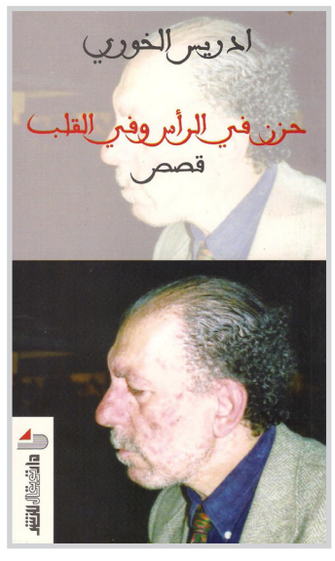

اقتصاد التغيرات.. السرد حوارية في ثمانية أقدار

عبدالكريم يحيى الزيباري

ينتظر أحدهم أنْ يطير فوق عشِّ الرَّخ، بأنْ يقرأ لهُ أحد القادة السياسيين ويقترح تقليده وساماً رفيعاً أو تكريمه بمبلغ من المال في الأقل، وهو ما لم ولن يحدث لا في مدينة العجائب ولا حتى في أحلام هند وكاميليا، لأنَّهم لا يقرؤون، وإذا قرءوا لا يهتمون.

وليس هناك أدنى فارق بين الأدب الذي كان يُمجِّد الدكتاتور والذي يذمُّه، لأنَّه مطرود خارج النظرية الأدبية بفعل الدوال المباشرة، وكما يقول مالارميه "إذا سَمَّيت الشيء قتلت ثلثي الشاعرية" وكما يقول المعري(لا تُقَيِّدْ عليّ لفظي، فإنّي/ مثلُ غيري، تكلمي بالمجاز) ولا مَناصَ من تغييب التاريخي في مقارباتنا السردية لصالح المتخيَّل،

ومن نظرتنا إلى الدول باعتبارها فعلاً مجتمعياً داخل التزامنية الدينامية التي تأخذ في الاعتبار التغييرات الجارية والممكنة الحدوث، بعيداً عن التزامنية التعاقبية التي لا تلتفتُ إلا إلى التغييرات التامة، والمنتهية ضمن المتوقَّع الروتيني، وما أجمل الحوار الشكسبيري أو الكافكوي، كما في قصة "مكان نظيف، حسن الإضاءة" همنغواي(قال أحد النازلين للآخر: – في الأسبوع الماضي حاول أن ينتحر. – لماذا؟ – كان يائساً. – من ماذا؟ – من لا شيء. – كيف تعلم أنَّهُ لا شيء. – عنده مال كثير)أيلول بلا مطر – ترجمة واختيار جبرا إبراهيم جبرا- دار المأمون- 1987- بغداد- ص89. (– وسكوت هل هو سعيد؟ – ربما. – مسكين. – تعلمت شيئا واحدا. – ماذا؟ – ألا أذهب أبداً في سفرة مع أحد لا أحبه. – أليس هذا رائعاً؟ – بلى ونحن ذاهبان إلى إسبانيا)همنغواي- عيد متنقل- ترجمة عطا عبد الوهاب- المؤسسة العربية للدراسات- ط3- 1985- بغداد- ص153. ومن هذه التعبيرات الحوارية الرشيقة التي تلتصق بالذهن، فالشاعرية هي فن الحذف والاختصار، مما يُنَقِّي النص من أسباب الترهُّل، هذا الشكل الرشيق يمنحُ النص فسحةً ومعاني جديدة للأشياء ذاتها، باعتبار الحياة الإنسانية ذاتها نوعا من النصوص أو تتشابه في نقاط كالأحلام.

تمتاز تلك المجموعة لِلدكتورة أزهار رمضان رحيم، بمزايا أولُها غموض الجنس الأدبي، بسبب العنوان وتعليقات زمكانية ختامية، بالإضافة إلى السرد الأنثوي فالبطلة والراوية أنثى في النصوص كافة، وثمَّةُ علامات مفاتيح توشح النصوص، والثيمة الرئيسة المشتركة للنصوص: الموت، فضلا عن الإيروتيك والنقد المباشر الصارخ للسلطة البوليسية، وتمركزت الحرب ثيمة رئيسة في ثمانية نصوص قصيرة، في الأول(قصف الليلة السابقة كان الأشرس/ ص7)في الثاني(صوت المذياع يهدر معلناً عن بيان انتصار جديد/ ص15.. وطن تعود العنف والحروب/ ص16)وفي الثالث(صَفَّت شباب العائلة من الذين قضوا في حرب الثمان سنوات في قبور متجاورة/ ص29)وفي الرابع(كثر الصغار ورحل ميران، اعتقلته قوات الجيش مع المئات من سكان المنطقة/ ص44)وفي الخامس(أصوات الانفجارات بعيدة/ ص49)وفي السادس(لم يلتحق بوحدته العسكرية منذ أربعة أشهر/ ص57). لكل نص عنوان في البداية وتعليق وتاريخ في النهاية: القدر الأول سند ملكية: أرملة تُهَجَّرُ من بيتها، ويهمس المختار الواشي في أذنها(ستأكلين الطين وستبيعين بناتك لتأكلي أيتها الحثالة، سيأتي دور عماد ولن ترينه إلا متعفنا هذا إذا عاش في الحجز/ ص10)وتنسى سند الملكية، وتريد العودة لكن أحدهم(ضربها بأخمص مسدسه على مؤخرة رأسها/ ص11)وفي نهاية النص هذا التعليق(في ذكرى تهجير الكورد الفيليين، حدثت في 1976)، الثاني تحقيق: المرأة تستسلم في البداية وتبرر لنفسها((قرأتُ عن أناس قدموا أرواحهم فداءً للمبادئ أو الحق أو الآخرين، هي أيضاً ستقدِّم جسدها لتكسب حياة الآخرين/ ص20)لكنها في اللحظة الأخيرة(انتفضت من مقعدها بهيجان أظهرَ زيفَ قوة مقتحمها، ليتراجع إلى الخلف فاقداً اتزانه، وصعقاً من بصاق غسل وجهه، أفاق وصوت الباب يصفق خلفها بقوة. حدثت في 1985/ ص21) وصعقاً مفردةٌ نادرة الاستخدام، في قوله تعالى(قالَ رَبِّ أرني أنظُرْ إليْكَ قالَ لن تَرَاني ولَكِن انظُرْ إلى الْجَبَلَ فإنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ)الأعراف: 143. وَاستخدمَ اللفظ الشاعر ابن دارج القسطلي الأندلسي(بوارق لو لم تخطف الهام في الوغى/ لَخَرَّتْ جُسُومٌ من رواعدها صعقا) واتفقَ النحويون وأصحاب المعاجم أنَّ صَعِقاً تعني ميتاً، ونادراً ما تعني مغشياً عليه من صدمة الموت، كما قال ابن سيده في "المحكم والمحيط الأعظم" (وصَعِقَ صَعْقًا وصَعِقًا، فهو صَعِقٌ: مات. وقوله عز وجل: (فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وأنتم تَنْظُرُونَ) قال أبو إسحاق: الصاعقة ما تَصْعَقونَ منه، أي تموتون). وجاء في تاج العروس(صَعِقَ الرجل ، كفرح ، صَعْقًا ، وصَعِقًا ، وتَصْعَاقًا ، فهو صَعِقٌ : مات . وأصعَقَتْه الصاعقة : أصابَتْهُ . وصُعِقَ الرَّجل كعُنِي : غُشِيَ عليه . والمَصْعوق : المَغْشِيُّ عليه ، أو الذي يَموتُ فجْأة)فلا يُعقلُ أنَّ السيد المحقق يخاف من صرخة امرأة من أقليَّة مضطهدة مهدورة الدم، كما فعلَ مخرجُ باب الحارة حين جعلَ الجيشَ الفرنسي الذي عَبَرَ جبال الألب واحتل أوربا وأحرقَ موسكو، ثمَّ تأتي الدَّايةُ أم زكي فتزأرُ كالأسد في وجه جنود الجيش الفرنسي، فيفرُّ من أمامها؟ لكنَّ الجيش الفرنسي ما خرَّ صَعِقاً، وأشبعونا تقتيلاً وتهجيراً، فأشبعناهم صراخاً وعويلاً، ويا محلى النصر....

وفي الثالث(تزوجت أبي رغما عني)وهي القصة الأطول: فتاة تقرِّرُ الاعتناء بوالدها المريض وتقول بأنانية صريحة(رفضتُ أن يخدمه سواي، تَحَمَّسْتُ أختي وأمِّي للفكرة وتجاوبوا معي كي تتخلصا من عبء رجل مريض مهترئ/ ص28). وهي تقصد مُتَهَرِّئ، ولكن الذي تقول أنها تريد أن تتخلص منه هو أبوها كذلك، وزوجها. ولكن الرحمة في قلوب الناس متفاوتة. وتعلق في النهاية(حدثت في 1988). وفي الرابع "عصمت خان" امرأة تقف عاجزة أمام موت جدائها واختفاء ميران الغامض، وَجَمْعُ جَدّي: جِدَاءٌ، ولكن الدكتورة جَمَعَتْ جَدّي بجَدْيان،(تسرَّب إليها أنين الجديان الصغيرة/ ص41). التعليق حدثت في 1988 قوره ره ش/ اسم قرية في السليمانية. والخامس "دقات هامسة" بدأتها بسؤال(ألا ينتهي هذا الليل/ ص49 فذكرتني بمعلقة امرئ القيس، أرملة تهرب من بيتها بسبب القصف الأمريكي عام 2003، جوع وبرد، خمسة وستون فرداً في بيت صغير، (ونفذ الماء الصافي في البيت/ ص52) والصواب نفدَ بالدال، وأحدهم يترك لها كلَّ ليلة قطعة حلوى تحت الباب، في الليلة الرابعة تحولت الحلوى إلى مال، ويقصف البيت بصاروخ وعجزَ الناس(عن فكِّ جسدين ملتحمين لامرأة ورجل توحدا في الموت محترقين معاً. حدثت في 2003/ ص54). السادس في حضن الرئيس: امرأة زوجها في الجبهة يقاتل الإيرانيين وهي تبحث عن عمل، وحوار لا يمكن أن يقع في الواقع ولا في الخيال(قالت لها: انك تحملين شهادة المتوسطة وبأمكانك العمل بها. – حاولتُ كثيراً.. الأوضاع الآن محتقنة، الحدود ملتهبة، الحرب مع إيران في أوجها، لا أحد يلتفتُ لمثلي. ليس لدي معارف ولا وساطات تمكنني من الحصول على عمل/ ص58)بإمكانك، في حرب إيران كانت تنعدم البطالة، حتى استورد العراق اليد العاملة بالملايين من مصر والصين، و"حاولت كثيراً" تكفي، أو " ليس لدي معارف ولا وساطات تمكنني من الحصول على عمل" أمَّا " الأوضاع الآن محتقنة، الحدود ملتهبة، الحرب مع إيران في أوجها" فعبارة لا تُقال لمن يعيش فيها حاضراً، بل للماضي السحيق، أو الغائب البعيد. فتنصحها جارتها بالاتصال بالرئيس عن طريق رقمه المباشر، فتتصل وتغلق الهاتف بوجه الرئيس، ويقول لها السكرتير(أول امرأة تغلق الهاتف في وجه الرئيس... بماذا أعقابها؟/ ص60) والمقصود بماذا أعاقبها؟ وتذهب ويراودها الرئيس فترفض فيأمر بتعيينها في وزارة الأوقاف. وعلى ذات الإيقاع يمضي القدر السابع والثامن الذي ربما كان خاطرة أو قريباً منها.

وازدانَ الكتاب بلوحات الفنان التشكيلي خالد جبر، ولكنَّ التشكيل يعتمد اللون، وبسبب غيابه جاءت باهتة وميتة بغير معنى، غير مُخَصَّصة للكتاب، ولو أنَّها جاءت كخربشات مخصصة بقلم الرصاص لكانت أوضح وأجمل. وجاء في الإهداء " إلى الرجل الذي رماني من جسر التردد إلى بحر الكتابة..وعلمني كيف أصنع من الورق قارب نجاتي..ومن القلم مجذافي ..ومن الكلمات أشرعتي..حتى وصلت ضفاف الاشتعال.." مقطع من القدر الثامن والأخير، وفي الغلاف الأخير للكتاب كتبَ حسب الله يحيى(نبعٌ جاد.. ومسار ثر من كلمات البوح المتوفرة على الصدق الفن، يحمله حبر كاتبة تعنى بالتحليلات والطب والعلم، لتنتقل إلى فن القصة وما تنبته من إرث ذاتي متجذر وفاعل ومؤثر. أزهار رحيم تتنفس برئة كوردية تتفاعل مع الوجع الإنساني بدفق عميق وحميم وأثير)سقطت واو العطف قبل كلمة الفن، كدال على انفصال بائن يكاد يكون متفقا عليه بين الصدق والفن، ربَّما كانت كلمة الطب وحدها غير القابلة للتعميم على القاصَّات الكورديات كافة، ولكن بعدما قرأت الكتاب، لم أجدْ أثراً واضحاً كما في قصص نوال السعداوي، التي قامت بنشر أسرار مريضاتها. لكن أزهار لم تفعل، وفي الغلاف الأخير أيضاً وجدت في الزاوية السفلى نحو أقصى اليسار(مطابع الشؤون الثقافية العامة)فإذا كان شعار الدار مكتوب بخطأ إملائي، فلماذا أستمر في البحث عن الأخطاء في متن الكتاب؟ ولكن من هذا الخطأ وغيره توصلت إلى السر الخطير وراء إخفاء دار الشؤون الثقافية العامة لمنشوراتها، وتكديسها في المخازن بدلاً من توزيعها بين المحافظات.

نائب الفاعل شأنهُ شأنِ الفاعل، لكنَّ أحدهم أثرَ نصبه وهي سابقةٌ نحوية خطيرة(وُلِدَ جديداً آخر/ ص43)وحروف الجزم عاطلة(لم تستطيع أنْ تجيبه/ ص19) والصواب لم تستطع، وحروف الجر كانت ثملة(لأجيال بعيدة من عائلته/ ص43) والصواب بعيدة عن عائلته، أمَّا عن الهمزة المظلومة فقد استخدمت بعشوائية فوضوية كادت تودي بحياتها كما في(أستيقظت باكراً/ ص42)(وضعت فوقه ما استطاعت من الصغار/ ص44)(ابتلعيهم/ ص44) (على إنهائهم الرحلة بسلام/ ص45) والصواب حذف الهمزة في الفعل الماضي الخماسي(انفعلَ/ انطلقَ) وهي قد فعلت الصواب مرةً بأنْ حذفت همزة الوصل من الفعل الماضي الخماسي (كنمرة استكانت/ ص26)ولكنها يتيمة.حيث عادت(حتى أصدقائه اعتقدوا/ ص27)والصواب حتى أصدقاءه اعتقدوا، والفعل الماضي السداسي(أستفعلَ/ استكبرَ)وابتلعيهم لأنَّها همزة وصل، أمَّا كلمة إنهائهم، فجيب أن تكون الهمزة تحتية. (باتهامه تزوير أوراق رسمية/ ص21)وهي همزة وصل أيضاً والصواب باتهامه.

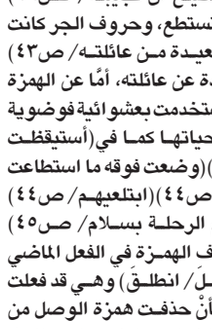

خارج العاصمة

استطلاع آخر العام

محمد خضير

يطوي العام ٢٠٠٩ بساطه مسرعاً نحو نهايته، مخلفاً زوابع من اللهب والثلج، مريقاً كؤوساً من الدم والخمر. بعد إعلان جوائز نوبل، وانتهاء موسم الحج، وانعقاد قمة المناخ، وقرعة مونديال جنوب إفريقيا، وبناء السفينة الفضائية التجارية، واختيار بيروت عاصمة عالمية للكتاب، ومسابقة ملكة جمال العالم، تأتي النهايات بالأزمات المالية والفيضانات وأخبار الحرب في العراق وأفغانستان واليمن. يأتي السؤال الأول في الاستطلاع من أخطر المواقع العالمية، بغداد مدينة السلام. والسؤال المشكل في مقدمة الاستطلاع يستفسر عن العلاقة المحتملة بين جرائم التفجيرات المتسلسلة حسب أيام الأسبوع وكونية التوحش الوبائي، الطبيعي والإرهابي، المطبق على بلدان العالم الثالث؟

يطرح استطلاع بغداد أسئلته ولا ينتظر الجواب عليها. متى كانت بغداد في مرمى الأجوبة؟ هي دائماً لغز النهايات، ومسرح الأضداد السياسية. قد يطرح الاستطلاع أسئلة شاعرية بمعيار (كتاب التساؤلات) لنيرودا، وقد تندلع أسئلته كشرارات النار في الحطب لو قويضت بلهجة "البيان الشيوعي". والأرجح أن استطلاع بغداد سيسأل بلهجة الرأي العام الذي يزج رأسماله في مزاد البيع والشراء على سياسات بلا نهايات. متى كانت لسياسة بغداد نهاية معلومة؟ وهل فُطم معجمها عن رضاعة المفردات من قباب الأثداء السماوية؟

الأرض العربية التي تتكلم العربية الفصيحة، منحت بغداد أسبقية الإفصاح عن لسانها الخصيب وتفرعاته اللهجوية الدخيلة. اتسع معجم بغداد وفاق معجم جورج أورويل (نيو سبيك) المستقبلي طبقات، بما أدخله من سلالات اللغات السامية وما كسبه من مصطلحات الشبكات الرقمية. وعلى العكس من معجم (١٩٨٤) الخيالي المختزل، فإن لهجات الإقليم العراقي نبعت من وقائع عالم حار، وتناسل يوتوبيات بائدة ونظم ديمقراطية معولمة. والسؤال الآن يتعلق بأنموذج المعجم التكاثري الجديد: ما الحجم الممكن استقصاؤه لمعجم بغداد المستقبلي؟ وما قراباته الدلالية بمعاجم نهاية العالم؟

كانت نشوة الكتاب والشعراء في المجتمع المعجمي القديم تزداد بالالتفاف حول معجم أقل حجماً من المعجم الحالي، فات واضعيه ومطوريه (أنستاس الكرملي ومهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ومصطفى جواد وطه باقر وهادي العلوي) استطلاع الصفحات الرملية التي تكاثرت بعد رحيلهم. لن يُبعث مستطلع معجمي من مرقده ليجيب على أسئلة الانتخابات والدستور والمترو والمدن العشوائية وأمراض البيئة، أو ليحصي اصطلاحات الحروب غير التقليدية (حروب النفط والمياه والمناخ وكرة القدم)، فقد سبقهم الأجل إلى (خط الرمال) الوهمي الذي أدخله دونالد رامسفيلد إلى المعجم العراقي واحتل مكان الصدارة بين مدخولاته الرمزية. والسؤال المشكل هنا: هل تفوت كتّاب المرحلة الجديدة وشعراءها الإحاطة بمدخولات المعجم الرملي؟ وما الشأن الذي يفلت دائماً من قبضة المعجم واصطلاحاته؟

حين أذكّر مستطلعي النهايات غير المعلومة بمعجم الرمال، وحين أجدّد نسختي منه كل عام، فهذا لكي أجرّب لهجتي في استطلاع خصوصيّ يتفرغ لشؤون (القلب) ويتكلم بلسان الطين الملاصق للسان الرمل، وتفرعاته اللصيقة بسياسات (الرغيف). وعسى أن تنفع لهجتي الطينية والرملية في تطوير التساؤلات التي وضعتها في إحدى صحائفي الاستطلاعية:

×((عشرات الأسماء لا تفي بتشخيص كائن مستور، فكم اسماً يقتضي حضور كائن منظور؟))

×((يعود المركّب إلى بسيطه، والنظير إلى نظيره، والخطّ إلى نقطته، فإلى أين يؤول ما لا اسم له، أإلى أمسه أم إلى غده، قديمه أم جديده؟))

×((أيمكنك أن تجد للشيء شبيهًا من نفسه؟ ما حدود الشبه بين شبيهين؟ أيهما أسبق في الشبه: الأصل أم الشبيه؟ أيشبه البئر حفرة، والحفرة بئرا؟ هل تتساوى أربعة عقول مع أربعة براهين، وأربع حفر مع أربعة رموس؟))

×((إذا كان الأربعة صنعوا أربعة أشياء، فمن ذا الذي ينقض صنع الأربعة؟))

×((هل يستغني فقير عن نعل لمسيره، أو ملاك عن خفّ الشمس؟))

×((أيتلهى الرضيع بثدي مكور أم بنرد ممسوح الوجوه؟ من يملك العالم، معجم رملي أم ملك جبّار؟))

×((أين مدينة أين، أيها المغادر مدينة متى؟ متى غادرت السفائن مدينة متى، أيها السائل عن كيف وماذا؟))

×((زلزل وهارون وخفيف إخوتي، فلماذا رشقوني بإبرة حين رشقتهم بزهرة؟))

×((ماذا قال ديك الرياح للرياح؟ ونغمة الطنبور للطنبور؟))

×((من يدوّن لغة الحرية بلهجة القيود؟))

×((أأجدى وضع السيف في موضع الندى، أم وضع الندى في موضع السيف؟))

×((أيها الرجاء، ذكر أنت أم أنثى؟))